كلية التربية
قسم المناهج وطرق التدريس

مقاصد التأليف في البحث العلمي

الأستاذ الدكتور
محمد حسن المرسي
أستاذ المناهج وطرق التدريس
عضو مجمع اللغة العربية
كلية التربية– جامعة دمياط

من أعجب ما قرأت على موقع التواصل ما كتبته باحثة تطلب من الزملاء اقتراحا لموضوع تبحث فيه لنيل درجة علمية، والمفترض في أواليات البحث العلمي، أن الموضوع البحثي يأتي من الإحساس بمشكلة يلمسها الباحث، ذات أهمية عالية ونسبة شيوع كبيرة، إلى آخر ما سردته كتب مناهج البحث حول شروط اختيار مشكلة البحث.

وقد اهتم تراثنا العربي بتحديد مقاصد التأليف في مجال البحث العلمي، وربما يجلي ذلك ويوضحة ما حدده (ابن خلدون– ت ١٤٠٦م) في مقدمته عن وجوه التأليف، أُورِدُه لعله يكون هداية ومحل استفادة من الباحثين.

كتب ابن خلدون في المقدمة: *

إن الناس حصروا مقاصد التأليف التي ينبغي اعتمادها وإلغاء ما سواها، فعدّوها سبعة:

أولها استنباط العلم بموضوع وتقسيم أبوابه وفصوله وتتبّع مسائله، أو استنباط مسائل ومباحث تعرض للعالم المحقّق، ويحرص على إيصاله لغيره؛ لتعُم المنفعة به. فيودع ذلك في الكتاب...لعل المتأخر يظهر على تلك الفائدة.

وثانيها أن يقف على كلام الأولين وتواليفهم فيجدها مستغلقة على الأفهام، ويفتح الله له في فهمها فيحرص على إبانة ذلك لغيره ممن عساه يستغلق عليه؛ لتصل الفائدة لمستحقها. وهذه طريفة البيان لكتب المعقول والمنقول، وهو فصل شريف.

وثالثها أن يعثر المتأخر على غلط أو خطأٍ في كلام المتقدمين ممن اشتهر فضله وبعُد في الإفادة صيتُه، ويستوثق في ذلك بالبرهان الواضح الذي لا مدخل للشك فيه؛ فيحرص على إيصال ذلك لمن بعده، إذ قد تعذَّر محوُه ونزعُه بانتشار التأليف في الآفاق والأمصار وشهرة المؤلف ووثوق الناس بمعارفه. فيودع ذلك الكتاب ليقف الناظر على بيان ذلك.

---

* ابن خلدون: (٢٠٠٤) *المقدمة*، ط١،ج٢، صص ٣٤١– ٣٤٣، تحقيق *عبد الله محمد الدرويش*، دمشق، سوريا، دار يعرب.

ورابعها أن يكون الفن الواحد قد نقصت منه مسائل أو فصول بحسب انقسام موضوعه؛ فيقصد المطَّلعُ على ذلك أن يتمم ما نقص من تلك المسائل؛ ليكمل الفن بكمال مسائلة وفصوله ولا يبقى للنقص فيه مجال.

وخامسها أن تكون مسائل العلم قد وقعت غير مرتَّبة في أبوابها ولا منتظمة؛ فيقصد المطّلع على ذلك أن يرتّبها ويهذبها ويجعل كل مسألة في بابها...

وسادسها أن تكون مسائل العلم مفرّقة في أبوابها من علوم أخرى، فينتبِه بعض الفضلاء إلى موضوع ذلك الفن وجمع مسائله، فيفعل ذلك، ويظهر به فنٌ ينظمه في جملة العلوم التي ينتحلها البشر بأفكارهم...

وسابعها أن يكون الشيء من التواليف التي هي أمهات للفنون مطولاً مسهبًا؛ فيقصد بالتأليف تلخيص ذلك بالاختصار والإيجاز وحذف المتكرر إن وقع، مع الحذر من حذف الضروري لئلا يُخِلَّ بمقصد المؤلف الأول.

فهذه جماع المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف ومراعاتها. وما سوى ذلك ففعل غير مُحتاج إليه، وخطأ عن الجادة التي يتعيِّن سلوكهم في نظر العقلاء، مثل انتحال ما تقدم لغيره من التواليف أن ينسبه إلى نفسه ببعض تلبيس من تبديل الألفاظ، وتقديم المتأخر وعكسه، أو يحذف ما يحتاج إليه في الفن، أو يأتي بما لا يحتاج إليه، أو يبدل الخطأ بالصواب، أو يأتي بما لا فائدة فيه. فهذه شأن الجهل والقِحَة. ولذا قال أرسطو لما عدّد هذه المقاصد وانتهي إلى آخرها، فقال: "وما سوى ذلك ففضل أو شرَه"، يعني بذلك الجهل والقِحَةَ، نعوذ بالله من العمل فيما لا ينبغي للعاقل سلوكه.

والله يهدي للتي هي أقوم.